الائتلاف

فى ليلة الزفاف

(الحب ـ الروح ـ الجسد)

تأليف
محمد عبده مغاورى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله الذى خلق الكائنات بقدرته، وسن الدين وأرسى فى الأرض شريعته، الكل سائر بأمره، خاضع لحكمه، موجود بعلمه، حى بسطوته، شرع من الدين الزواج، فقال فى كتابه العزيز.

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١].

والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، سيد الخلق ولله حبه، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

أما بعد:

فلقد وفقنى المولى عز وجل فى عدد من الكتب سبق وأن تحدثت فيها عن علم التناسليات فوصفت كل ما يجب وصفه حتى ينعم الإنسان بالطمأنينة تجاه هذا الأمر، ولكننا لم نتبحر فى شأن ليلة الزفاف فلم نذكر آدابها، ولا أفعالها، ولا ما يجب اتخاذه حيال هذا اليوم المبارك بأمر المولى عز وجل.

لذلك رأيت أن أشرع فى كتابة هذا الكتاب المتواضع الذى سيبين بأمر المولى عز وجل عددًا وفيرًا من الأمور الهامة، والتى ينبغى أن يعلمها الشباب المسلم وكذا الشابات المسلمات، حتى يسير الجميع على درب العلم، ويبتعد الجميع عن مخاطر تلك الليلة.

---

(١) النورة: ٣٢ ـ ٣٤.

وهنا يسأل الجميع، وهل لتلك الليلة مخاطر؟

والإجابة، هى نعم فـلليلة الزفاف أضرار ومن هذه الأضـرار، أضرار نفسية، وأيضا أضرار جـسمانية. وحتى لا يـكون بكلامنا غـموض فلنتابع مـعًا وسويا ما سيكتب فى كتابنا (الائتلاف فى ليلة الزفاف).

وحتى لا نطـيل عليكم فى المـقدمة فأريد أن أختمـها بعدة كلمات يـنبغى أن نعقلها قبل أن نسير فى هذا الكتاب المتواضع.

هذه الكلمات هى:

هذا الكتاب كـتاب علمى بحت ينبـغى أن يقرأه القارئ لا عن سبـيل المعرفة ولكن عن سبيل الدراسة والتطبيق.

والله وحده الموفق وهو المستعان، وأسأله التوفيق فى تقديم عرض جيد صالح للأمة والمجتمـع، وأسأله أيضا أن يكون كتابًا ميـسرا يفهمه العامة والخـاصة فيعود بالنفع على الجميع

اللهم آمين آمين

المؤلف

محمد عبده مغاورى

المنصورة ـ عزبة عقل

بجوار مجمع الإيمان

ت ٣٦٧٩٢٥

تمهيد

إن الحمد لله الذى بيده الأمر وهو على كل شيء قدير.

والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الغر الميامين

أمـــا بعـــــد:

فيا أحباب المصطفى ﷺ، بودى لو خضت فى الموضوع مباشرة، ولكنكم تعلمون جيدًا طريقتى فى الكتابة، فلقد تعودت إيضاح ما بداخل الكتاب قبل الخوض فيه، حتى يحصل تمام الفهم، فالتمهيد يجعل القارئ على خطوات راسخة يقرأ فيفهم جيدًا بأمر المولى عز وجل

وحتى نمهد تمهيدًا جيدًا فلنقرأ سويا هذه الأبيات التى رأيتها فقرأتها فتمنيت لو أن كل الناس كذلك وهى.

إن ساغ بعدك لى ماء على ظمإ ... فلا تجرَّعتُ غير الصاب والصبر
وإن نظرت من الدنيا إلى حسن ... مذ غِبْت عنى فلا مُتعت بالنظر
صحبتنى والشباب الغضّ ثم مضى ... كما مضيت فما فى العيش من وطر
سبقتمانى ولو خُيِّرتُ بعدكما ... لكنت أول لحَّاق على الأثر

ثم مضى مرة أخرى وقال فى رثاء زوجته:

وبؤس منفرد عمَّن يضاجعه ... مشرد النوم بين الأهل والمال
يزيد حرَّ حشاه برد مضجعه ... ويملأ القلب شجوا رَبْعُه الخَالى
يبكى ويندب طول الليل أجمعه ... فلا يقر ولا يهدأ على حال

وبالطبع من يقرأ تلك الأبيات يعلم جيدًا، كم كان حب هذا الرجل لزوجته، وكيف أنها كانت حياته بأكملها..!

وبالطبع هذا الكلام لا نجده فى عصرنا الحالى، إلا عند بعض الناس القلائل، أو بالتعبير الأصح «إلا من رحم ربى» أتدرون لم؟ «إلا عند من رحم ربى» لأن الزواج أسمى وأرقى العلاقات الإنسانية حيث يقام عليه مجتمع، ويكون سببا

فى إسعاد أفراد أو شقائهم وحتى تتضح الرؤية، فلنضرب مثلاً فنقول:

يأتى الرجل فيقول:ـ أنا لا أحب زوجتى وأشعر أن حياتى معها عذاب وشقاء دائم

ويأتى آخر فيقول: لقد تزوجت بداهية وماتت فتزوجت بمن هى أمر وأدهى

ويأتى آخر فيقول: عُقدتى كلمة امرأة سواء كانت أم أو أخت أو زوجة.

والعجيب أن هذه الأمثلة توجد بكثرة غير طبيعية فى مجتمعنا والأكثر عجبا أن تسمع أمثلة من أفواه النساء فتسمع مثلا

امرأة تقول:ـ لقد أسأت الاختيار ومن بين ألف رجل لم أتزوج إلا ذلك المعتوه . . «وتعدد الصفات»

أو تقول:ـ لقد تزوجت من رجل لم يكن بخيالى فياليتنى لم أتزوج.

أو تقول: إن فلانًا فى العمل أفضل من زوجى ألف مرة.

وبالطبع الأمثلة كثيرة ومتعددة، وينبغى ألا نضحك على أنفسنا فهذه حقائق نحياها، ونسمعها من الكثيرين، ومن يقول بخلاف ذلك، فليعلم أنه يريد خداع نفسه، ولكن يا ترى من بعصرنا يقول كما قال الشاعر فى الأبيات السابق ذكرها.

سبقتمانى ولو خيرت بعدكما لكنت أول لحَّاق على الأثر

ما أجمل الحب، وما أسمى وأرقى معانيه، لذا فالتمهيد الذى أريده هو، أن هذا الكتاب المتواضع سيتحدث فى ثلاثة أمور وهى:

الأمر الأول: منزلة الحب فى الإسلام، ومعنى الحب الحقيقى وهل للمرأة دور فى اختيار الرجل؟، وهل الحب والمشاعر والعواطف الملتهبة من تعاليم الإسلام أم لا؟ ونختم الأمر بالحديث عن أقوال العلماء في الحب وأشهر قصص الحب فى الإسلام.

الأمر الثانى: ليلة الزفاف، وهى بالطبع عنوان كتابنا ولُب حديثنا، ولكن من يفردها فهو مخطئ فلليلة الزفاف مدلول قبلها ومدلول بعدها، فما قبلها من عوامل نجاحها والسعادة فيها وهو (الحب)، وما بعدها (وحتى يستمر الحب).

الأمر الثالث: كيف تحافظ الزوجة على زوجها، وكيف يحافظ الزوج على زوجته، رغم وجود المـشاكل لأن من نادى بعـدم وجود المشاكل فـما هو إلا كاذب، فالمشاكل الزوجية وجدت فى بيت النبوة فكيف لا توجد فى بيوتنا، فحـديثنا فى الأمر الثالث سيكون عـن دوام الحب والتخلص من المشاكل بصورة إسلامية وبالطريـقة المحمدية، وحتى تكون أيامنا جميعها (ليلة زفاف بها خير ائتلاف).

هذه هى الـثلاثة أمور،وحـتى لانطيـل فلنمـضى سويا،ولـنقرأ هذا الـكتاب المتواضع، الذى أرجـو به من الله الثواب وأرجو أن يكون بـه الدواء لكل من أراد الحب الدائم والسعادة الحقيقية فى عصر تيبست فيه المشاعر واحتاجت إلى الارتواء

المؤلف

محمد عبده مغاورى

المنصورة ـ عزبة عقل

بجوار مجمع الإيمان

ت ٣٦٧٩٢٥

الفصل الأول

الحب وأحوال المحبين

* تعريف الحب.
* الروح والجسد والحب.
* آلات الحب.
* أعراض الحب.
* أنواع المحبة ودرجاتها.
* أشهر قصص الحب.
* أعظم قصص الحب.
* حب العبيد.
* حب الفقهاء.
* الحب فى حياة محمد ﷺ.



من لم يذق الحب، لم يذق طعم الحياة، فالحياة قوامها الحب، وعمادها الحب ولذتها الحب، ومقصدها الحب، ونهايتها بائسة إن لم تنته على الحب.

فطعم الحياة بزوجة صالحة، والمقصد عبادة الرحمن، ونهايتها يجب أن تكون على حب الله ورسوله، ومن هنا نستطيع أن نقول أن الحب غاية فى كل شىء سواءً أكانت تلك الغاية عارمة أم صارمة، ولكن المحصلة يجب أن تكون الحب.

وفى هذا الكتاب المتواضع سيكون بحثنا عن حب اللذة والمتعة، فالشخص يعيش فيه متلذذا مُنعمًا إن أصابه، وهذا الحب هو حب الرجل للمرأة، والذى يقول ابن حزم فى شأنه (الحب أعزك الله، أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور فى الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل. وقد أحب من الخلفاء المهذبين والأئمة الراشدين كثير، منهم بأندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعجاء، والحكم بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه بطروب أم عبد الله ابنه أشهر من الشمس).

هذا هو كلام العلامة ابن حزم ولكنى أستميحكم بأن نمضى سويا لننظر فى تعريف الحب، فكيف نخوض فى عنوان لا نعرف معناه . . !

وسيتساءل الكثيرون وهل يوجد أحد لا يعرف معنى الحب؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن الأئمة الأعلام قد اختلفوا فى تعريف الحب، فكيف لا نختلف نحن، ونحن أقل ألف ألف مرة قدرًا وعلمًا وحتى لا نطيل عليكم فلننظر إلى تعريف الحب عند أئمة اللغة وأئمة التشريع وليختر كل منا تعريف يوافق حبه فى تلك الفانية.

*** تعريف الحب:**

يقول العلامة الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى صاحب كتاب

مختار الصحاح (الحُبّ: بالضمة الخابية فارسى معرّب، والحُبّ: أيضًا المَحبّة وكذا (الحِب) بالكسر والحِب أيضا الحبيب ويقال (أحَبّه) فهو (مُحَبّ) و (حبَّه) يَحبه بالكِسر فهو محبوب، و(تحبب) إليه تودد وامرأة (مُحبّة لزوجها).

قلت (أستحبه) عليه أى آثره عليه وأختاره ومنه قوله تعالى: ﴿**فاستحبوا العمى على الهُدَى**﴾[1].

وقال العلامة ابن منظور فى كتابه لسان العرب (حبب: الحُبُّ: نقيض البغض، والحُبُّ: الودادُ والمَحبّةُ، وكذلك الحِبُّ بالكسر.

وحُكِى عن خالد بن نضلة: ما هذا الحِبُّ الطارقُ؟)[2].

هذا هو كلام أهل اللغة ولكن لنستمع إلى تعريف الحب عند الوزير الأديب ابن حزم حين قال: ـ (اختلف الناس فى الحب وماهيته، وأطالوا واستفاضوا فى تعريفه، ولكن ما أذهب إليه: أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة فى هذه الخليقة فى أصل عنصرها الرفيع)[3].

وقال العلامة الحافظ ابن قيم الجوزية (وأما محبة الزوجات: فلا لوم على المحب فيها، بل هى من كماله وقد امتن الله سبحانه وتعالى بها على عباده فقال ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١] فجعل المرأة سكنًا للرجل يسكن قلبه إليها وجعل بينهما خالص الحب، «وهو المودة المقترنة بالرحمة» وقد قال تعالى عقيب ذكره ما أحل لنا من النساء وما حرم منهن ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[4] هذا هو كلام العلامة ابن القيم، والذى أختم به جمعى فى شأن تعريف الحب عند العلماء.

ولكن يا ترى هل وجد كل شخص الآن فى داخله معنى لحبه؟، أم لا زال

---

(١) انظر مختار الصحاح: ١١٩ المطبعة الأميرية.
(٢) انظر لسان العرب ١/ ٥٤٤ طبعة دار الجيل
(٣) انظر طوق الحمامة لابن حزم: ١٣.
(٤) النساء: ٢٦ ـ ٢٨.

بعض الأشخاص يبحثون عن معنى يناسبهم؟

وردًا على تلك الأسئلة اسمحوا لى أن أقول إن لى رأياً خاصاً فى معنى الحب؛ ففى رأيى أن الحب«هو الحب» وسيتعجب الجميع من هذا التعريف ولكن عندما يسمعون تلك الأبيات سيعلمون قصدى وهى:

ودادى لك على حسب كونه	تناهى فلم ينقص بشىء ولم يزد
وليست له غير الإرادة علة	ولا سبب حاشاه يعلمه أحد
إذا ما وجدنا الشىء علة نفسه	فذاك وجود ليس يفنى على الأبد
وإما وجدناه لشىء خلافه	فإعدامه من عدمنا ماله وجد

فهذه الأبيات توضح ما أردت (الحب معناه الحب)، وليس كما يقول البعض أنه مودة أو رحمة، ولكن هذه المودة وتلك الرحمة تكون من نتائج الحب ولكن ليست هى الحب، فالحب اندماج وإذابة حيث تندمج الأرواح وتذوب النفوس وتمتزج لتعلن عن الحب ولعل ما يؤيد رأيى حديث رسول الله ﷺ حين قال: **«الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»** [(١)].

فهذا الحديث أكبر دليل على أن الحب تقابل روح وروح، ولعل المثل القائل«الطيور على أشكالها تقع». يقصد ما نريد، لأن أصحاب الأرواح المتقابلة متحابة وفى الغرام واقعة.

ولكن يا ترى هل الروح فقط هى المسؤولة عن الحب؟ أم أن هناك أشياءً أخرى لابد من توافرها كالميول الجسدى مثلا؟

وللإجابة على هذا السؤال اسمحوا لى أن نضعها تحت عنوان آخر وهو.

❋ الروح والجسد والحب:

فى عصرنا هذا يسود اعتقاد ردىء، ألا وهو «أن جسد المرأه ووجهها من أهم عوامل الحب»، ولكن اسمحوا لى بمقولة ألا وهى: «من نادى بهذا فما هو إلا

---

(١)البخارى، ومسلم، وأبو داود، وأحمد فى مسنده.

مخطئ مضـل فالجسد يوما تثقـله الهموم وتحنيه الـسنون« جمع سنة» حتـى يصير عظاما مكـسورة بجلد، وهنا يذهب الجمـال وتظهر التجاعيد ويـتلاشى هذا الحب الزائف. وما اشبه هذا الحب بالحب الذى ذكره العلامة ابن حزم تحت باب« من أحب بالوصـف». حيث قال: « ومن غريـب أصول العشق أن تقـع بالوصف دون المعاينة وهذا أمر يترقى منه إلى جميع الحب، فتكون المراسلة والمكاتبة والهم والوجد والسهر على غير الإبصار فإن للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار تأثيرا فى النفس ظـاهرا. وأن تسمع نغمـتها من وراء جدار، فيـكون سببا للحـب واشتغال البال.

وهذا كله وقع لغير ما واحد، ولكنه عـندى بنيان هار « متهدم» على غير أس «أساس» وذلك أن الذى أفرغ ذهنه فى هوى من لم لابد له إذ يخلو بفكره أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعيناً يقيمها نصب ضميره، لا يتمثل فى هاجسه غيرها، قد مال بوهمه نحوها فإن وقعت المعاينة يوما ما فـحينئذ يتأكد الأمر أو يبطل بالكلية، وكلا الوجهين قد عرض وعرف ،وأكثر ما يـقع هذا فى ربات القصور المحجوبات من أهل الرجال لضعفهن وسرعه إجابة طبائعهن إلى هذا الشأن، وتمكنه منهن وفى ذلك أقول شعرا، منه:

ويا مـن لا منـى فى حـب ... من لـــم يـــره طرفى
لقد أفرطت فـى وصفك لى ... منى الحـــب بالضعف
فـقل هـل تـعـرف الجنـة ... يومـا بسوى الوصـف [1]

هذا هو كلام العلامة ابن حزم، والذى يشيد بأن حب الوصف لا يصح ولكن للأسف نجد فى عصرنـا هذا رجل يصف امرأة لرجل ويغالى فى وصـفه حتى تقع بقلبه ويعلن حـبها، والحقيقة أن ما أحسه لم يكن حبـا ولكن غريزة شهوة أوقدت فى جسده من الوصف وكلامنا لا يحدد الـوصف فقط، ولكن أيضا يحدد الرؤية فهناك رجـل يتمعن فى امـرأة ويرى من الجمال ما يفـتك الرجال، فيقـول بأعلى صوته أحبها.

(١) طوق الحمامة لابن حزم الأندلسى: ٢٨

والحقيقة أنه لا يـحب ولا يعرف معنى الحب، وما هو إلا عاشـق لجسد يبلى مع الزمن،ونخلـص من هذا أن حب الوصف ليس بحب وكـذا حب الجسد ليس بحب وما أجمل حب الروح، لأن هذا هو الحب الحقيقى.

ولنقرأ سويا هذه الأبيات لجرير وهو يرثى زوجته فيقول:

لولا الحياء لهاجنى استعبار [1]	ولـــزرت قبرك والحـــبيب يزار
ولهت قـلبى إذ علتنى كبرة[2]	ليل يكـــــر عليهـــــم ونهار
لا يلـبث القرنـاء أن يتفـرقوا	ليل يكـــــر عليهـــــم ونهار
صلى المـلائكة الذين تـخيروا	والطيبون عليـك والأبـــرار

ما أجمل الكلمـات وأروعها، يرثى زوجته بعدما ماتت وفـارقه الجسد الدافئ والوجه الـصبوح، ولعلـى أسأل سؤالاً الآن وهو إن كـان يحب الجسد فـهل كان سيذكرها بعد موتها؟

ولعل الإجابة من أيـسر ما يكون، وهى بالطبع لا، فـحب الجسد يزول بزوال الجسد، وحب الروح يبقى إلى أبد الآبدين.

ولعل حديث أم الـدرداء الذى ذُكِر فى(تنبيه الغـافلين) للسمرقنـدى أكبر دليل على ذلك ونص الحديث « أن معاوية بن أبى سفيان تقدم لخطبة أم الدرداء بعد وفاة زوجها أبو الدرداء فرفـضته وقالت :إنى أريد أن أحشر معـه فى الجنة » هذا هو الحب بأسمى وأرقى مـعانيه هذا هو الحب الذى يؤيد قولـى «أن حب الروح يبقى إلى أبد الآبدين».

ولكن يا ترى هل تبصر الروح؟ أم هل يـبصر الحب؟ أم أن هناك أشياء يجب أن توجد حتى ننعم بالحب؟

وللإجابـة على هذه الأسئـلة اسمحوا لـى أن أضعها تحت عـنوان خاص ألا وهو:

---

(١) استعبار: جريان الدموع.

(٢) الكبرة: تقدم السن.

*آلات الحب:

إن الروح تشعر ولكنها لا تمتلك قدرة الإحساس الملموس فالروح تحب، ويملأ الحب كيانها، ولكنها تحتاج لآلات حتى تعبر عن هذا الحب، وإن لم توجد تلك الآلات لن يوجد الحب الحقيقى الملموس والمحسوس ولعل أصدق الكلمات التى تعبر عن هذا الكلام وتوصفه بأحسن وصف، كلمات أبى صخر الهزلى فى شأن الغزل حيث قال:

أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمره الأمر
لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها ... بتاتا لأخر الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت لأعرف لدى ولا نكر
وأنسى الذى قد كنت فيه هجرتها ... كما قد تنسى لب[1] شاربها لخمر
وقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما[2] الذعر
ويمنعنى من بعض إنكار ظلمها ... إذا ظلمت يوما وإن كان لى عذر
مخافة أنى قد علمت لئن بدا ... لى الهجر منها ما على هجرها صبرا
وأنى لا أدرى إذا النفس أشرفت ... على هجرها ما يبلغن بى الهجر
أبى القلب إلا حبها عامريه ... لها كنية عمرو، وليس لها عمرو
تكاد يدى تندى [3] إذا ما لمستها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر
فيا حب ليلى قد بلغت بى المدى ... وزدت على ما ليس يبلغه الهجر

ما أجملها من أبيات تعبر عن العنوان بأجمل تعابير فآلات الحب هى: (العين، والقلب، والنفس، والجسم بأكمله).

فالحب ينبع من ائتلاف الروح، فإذا امتزجت الأرواح عبرت الجوارح فالعين تعشق النظر لمن تحب، والقلب ينبض نبضا دافئا فى ذاته مبردا لغيره من الأعضاء،

(١) لب شاربها: أى عقل من يشرب الخمر.
(٢) يروعهما: يفزعهما.
(٣) تندى: تبتل.

ثم تشتاق النفس لمجالسة الحبيب، وينعم الجسد بطاقة الحب الملتهبة التى تسير فى الدم وتحرك كل ما هو ساكن.

هذا هو الحب وهذه هى آلاته ولعل الشاعر قد بين كل ذلك فى أبياته حين قال:

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت لا أعرف لدى ولا نكر

فالرؤية هنا تجعل مشاعره الكامنة تتحرك وحبه يطفو ويحرك جسده الساكن، الذى ينسى الهجر والخصام ويتمنى الحب والوصال.

ثم استعرض الشاعر بعد ذلك القلب فقال:ـ

أبى القلب إلا حبها عامرية لها كنية عمرو، وليس لها عمرو

فالقلب كما يقول الكثيرون مسكن الحب ،ولعل تلك العبارة الصادقة، لا تنفى ما نقوله عن الروح، فالروح أصل الحب والقلب مسكنه والعين تحميه والعقل مرسمه والنفس به قانعة، والجسد للحب خير قارئ ومستمع، وحتى لا نطيل عليكم فهذه هى آلات الحب ، ولكن يا ترى هل للحب أعراض ظاهرة؟ وهل هذه الآلات دور فى تلك الأعراض؟

هذا ما سنعرفه إن شاء الله تحت عنوان لنسميه سويا باسم (أعراض الحب)

*** أعراض الحب:**

أعراض الحب ظاهرة، واضحة ،جلية، ساقها لنا العلامة ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة، ولكننا سنلخصها فى عدة سطور ونضعها بأمر رب الدور منظمة كالدر المنثور، وأعراض الحب هى.

أولا: إدمان النظر، فالعين باب النفس الشارع، وهى المنقبة عن سرائرها والمعبره لضمائرها، والمعربة عن بواطنها.

ثانيا: الإقبال بالحديث فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد غير ، ذلك وإن التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه، والإنصات لحديثه إذا حدث، واستغراب كل ما يأتى به وكأنه عين المحال وخرق العادات، وتصديقه وإن كذب.

ثالثا: اتباعه كيف سلك وأى وجه من وجوه القول تناول، ومنها الإسراع بالسير

نحو المكان الذى يكون فيه، والتعمد للقعود بقربه والدنو منه، وإطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه، والاستهانة بكل خطب وأمر داع إلى مفارقته، والتباطؤ فى المشى عند القيام عنه.

رابعا: اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوبه، أو عند سماع اسمه.

خامسا: يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان ممتنعاً به قبل ذلك.

سادسا: ومن أعلامه أنك تجد المحب يستدعى سماع اسم من يحب، ويستلذ الكلام فى اخباره ويجعلها هجيراه (أى عادته ودأبه)، ولا يرتاح لشىء ارتياحه لها، ولا ينهنهه عن ذلك تخوف أن يفطن السامع ويفهم الحاضر، وحبك الشىء يعمى ويصم، فلو أمكن المحب ألا يكون حديث فى مكان يكون فيه إلا ذكر من يحبه لما تعداه[1].

هذا هو كلام العلامه ابن حزم فى شأن أعراض الحب ويحضرنى أبيات من الشعر العذب أذكرها لكم على سبيل الإحاطة والإلمام وهى:

حبيبة القلب أنت ... أنت لا سواك بغية الأعين

رقائق الفكر تشدو بحبك ... ياجميلةً آه ثم آه فانعمى

قلبى أسير بعطفك ... أميرتى عطفا على فاعطفى

ياكحيلة العينين مُنسمَة ... برموش كسهام ليل أبهم

رحماك بتلك الأعين ... نظرة إلى بها فانظرى

ما أجمل الكلمات، وما أقوى العبارات فى تلك الأبيات والتى أكتفى بها فى مسألة أعراض الحب.

ولكن يا ترى ما هى أنواع المحبة؟ وهل للمخبة درجات؟

نجيب فنقول بأمر المولى عز وجل: نعم، واسمحوا لى أن نضع كل أمر تحت رأسه فلنضع السؤال على هيئة عنوان ثم نبدأ بالبيان بأمر الحنان المنان

(١) طوق الحمامة: ١٩ـ ٢١.

* أنواع المحبة ودرجاتها:

هذا العـنوان من أخطرالـعناوين فـى نظري، لذا أرجو مـن الله عز وجل أن يوفقنى فى توصيل المعلومة إليكم، وهذا لأنى سأقلب أمرا كتبه أحد العلماء، هذا القلب سيكون بـرجوعى من المؤخرة إلى مقدمة كلامه، وحتى لا أطـيل فلنمضى سويا ولنقرأ رأى الإمام العلامة ابن قيم الجوزية فى شأن المحبة وأنواعها حيث يقول فى كتابه القيم (إغاثة اللهفان) ما كان نصه:

المحبة نوعان:

فالمحبة النافعـة ثلاثة أنواع: محبة الله ـ ومحبة فى الله ـ ومحـبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله ،ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن الله تعالى أو ينقصها(١)

هذا هو كلام العلامة ابن القيم فى شأن أنواع المحبة وهنا سيسأل الكثيرون وما لنا وتلك الأنواع؟ وأين كلامك أنك ستقلـب فى كلام هذا العلامة حيث ستجعل آخر كلامه أوله؟

وهنا أتوقـف لأقول لكم: إن أنواع المحبة عـند العلامة جاءت بـعد أن فسر المحبة الـنافعة لذا سنـعود لأول الفصل وننـقله لكم بـالحرف عسى الله أن ينفـعنا بكلامه وتعاليمه .

يقول العلامة ابن الـقيم: (فمن المحبة النافعة: محبة الـزوجة وما ملكت يمين الرجل، فإنها معنـية على ما شرع الله سبحانه له من النكـاح وملك اليمين، من إعفاف الرجل نـفسه وأهله، فلا تطمع نـفسه إلى سواها من الحرام، ويـعفها، فلا تطمـع نفسهـا إلى غيره، وكلـما كانت المحبـة بين الزوجين أتم وأقـوى كان هذا المقصود أتم وأكمل، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِليها﴾ و قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنـفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

(١) إغاثة اللهفان: ٥١٢.

(٢) سوره الأعراف: ١٨٩.

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه سئل: من أحب الناس إليك؟

فقال: «**عائشة**»[2]

ولهذا كان مسروق رحمه الله يقول إذا حدث عنها حدثتنى الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله ﷺ، المبرأة من فوق سبع سموات.

وصح عنه ﷺ أنه قال: « **حبب إلى من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة**» [3]

فلا عيب على الرجل فى محبته لأهله، وعشقه لها، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له، من محبة الله ورسوله، وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله، بحيث تضعفها وتنقصها فهى مذمومة. وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها، فهى محمودة[4]

هذا هو كلام العلامه ابن القيم فى شأن أنواع المحبة، ولعلى سأتوقف قليلا عند قوله (فلا عيب على الرجل فى محبته لأهله وعشقه لها) وأيضا عند قوله : (وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل). هذا الكلام فى غاية الأهمية، أتدرون لما؟

لأن هناك بعض الشباب فى عصرنا أصبح يرتكب الرذيلة تحت شعار الحب، وبالطبع هذا ينافى كل التعاليم والقيم السامية، فالحب دعامته الزواج، وأصله الإشهار لا الخفاء (فما من نور يحتويه يحتويه الظلام).

أقصد بتلك الغبارة أن الحب نور فكيف يكون هذا النور ويكون معه ظلام الخطيئة والرذيلة، ولكن الأصل الزواج فذا هو الحب الحقيقى.

وأكتفى بتلك المقولة وأمضى معكم حتى نعرف ما هى درجات الحب؟

---

(١) الروم : ٢١.

(٢) الحديث فى البخارى: ٦/٥، ٢٠٩، وأحمد: ٢٠٣/٤ وهو عند غيرهم أيضا.

(٣) رواه أحمد (١٢٨/٣، ٢٨٥)، والحاكم: ٢/ ١٦٠ وهو حديث صحيح.

(٤) انظر إغاثة اللهفان للعلامة ابن القيم: ٥١١ ، ٥١٢.

درجات الحب أربعة كما صنفها العلامة ابن حزم وهى (الاستحسان فالإعجاب ثم الألفة فالكلف). وحتى يكون كلامنا فى غاية الوضوح اسمحوا لى أن أشرح لكم كل درجة منفردة عن ما يليها.

أولا : الاستحسان. إن المرء يشاهد فى يومه ألف وجه فذا جميل ،وذاك قبيح، وهذا لا بأس به، ولكن يكون هناك وجها ذو انطباع خاص عند الناظر، هذا الانطباع هو الاستحسان فيستحسن الناظر وجه المنظور إليه، فيقع فى عينيه مختلفا عن أى وجه رآه.

ثم سرعان ما ينقلب هذا الاستحسان إلى الدرجة الثانية وهى الإعجاب.

ثانيا: الإعجاب. وهو رغبة الناظر فى التقرب من المنظور إليه، فيريد الناظر مجالسة المنظور إليه، ويتطلع اليه وكأنه شىء ثمين يرغب فيه الجميع.

ثالثا: الألفة. وهى الوحشة إلى المحبوب إذا غاب.

رابعا: الكلف وهو غلبة شغل البال به،وهو ما يسمى فى الغزل باسم« العشق» إلا اليسير من ذلك، وربما أدى الشغف إلى المرض أو إلى التوسوس أو إلى الموت.

هذه هى درجات الحب، وما تقدم كان شرحا لها، ولكن يا ترى كيف نفرق بين تلك الدرجات وبين أى شىء آخر (كالشهوة). . . على سبيل المثال؟

وللإجابة نقول والله المستعان، إن العلامه ابن حزم قد قال أجمل العبارات رداً على هذا السؤال، واسمحوا لى أن أنقل لكم ما قاله الإمام.

قال العلامه ابن حزم (إن الحب اتصال بين النفوس فى أصل عالمها العلوى، ولكن النفس فى هذا العالم الأدنى قد غمرتها الحجب، ولحقتها الأغراض، وأحاطت بها الطبائع الأرضية الكونية، فسترت كثيرا من صفاتها وإن كانت لم تحله، ولكن حالت دونه فلا يرى الاتصال على الحقيقة إلا بعد التهيؤ من النفس والاستعداد له، وبعد إيصال المعرفة إليها بما يشاركها ويوافقها، ومقابلة الطبائع التى خفيت مما يشابهها من طبائع المحبوب فحينئذ يتصل اتصالا صحيحا بلا مانع.

وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدى، واستطراف

البصر الذى لا يجاوز الألـوان، وهذا سر الشهوة ومعناها على الحقـيقة فإذا غلبت الشهـوة وتجاوزت هذا الحد ووافق الفـصل اتصال نفسانى تشـترك فيـه الطبائع مع النفس عشقا. ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أن يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين، فإنما هذا من جهة الشهوة التى ذكرنا آنفا، وهى على المجاز تسمى محبة لا على التحقـيق، وأما نفس المحب فما فى الميل به فضل يصرفـه من أسباب دينه ودنياه فكيف بالاشتغال بحب ثان، وفى ذلك أقول

كذب المدعـــــى هــــوى اثنين	مثل ما فى الأصـول أكذب مانى[١]
ليس فى القلب مـوضــع لحبـيبين	ولا أحـــــدث الأمـــور بثـانى
فكما العقل واحـــد ليس يـــدرى	خـــالـقـا غير واحـــد رحمان
فكذا القلب واحـــد ليس يهوى	غـيـر فـرد مبـاعـد أو مـدان[٢]
هو فى شـــرعه المـودة ذو شك	بـعـيد فى صحـــــة الإيمـــان
وكـــذا الـدين واحـــــــد	وكـفـور مـــن عـنـــده دينان

وإنى لأعرف فتى من أهل الجد والحسب والأدب كان يبتاع الجارية وهى سالمة الصدر من حـبه، وأكـثر من ذلك كـارهة له لقلة حلاوة شـمائل[٣] كانت فـيه، وقطوف دائم لا يفارقه ولا سيما مع النسـاء، فكان لا يلبث إلا يسيراً ريثما يصل إليهـا بالجماع ويعـود ذلك الكره حبـاً مفرطا وكلفـا زائدا واستـهتارا مكشـوفا، ويتحول الضجر لصحبته ضجرا لفراقه، صحبه هذا الأمر فى عدة منهن.

فقال بعض إخوانى: فسألته عن ذلك

فـتبـسم نحوه وقـال: إذا والله أخبـرك أنا أبطأ الناس إنزالا[٤]، نقص المرأة شهوتها وربما ثنت وإنزالى وشهوتى لم ينقضـيا بعد، وما فترت بعدها قط، وإنى لأبقى بحسب بعد انقضائها الحب الصالح. وما لاقى صدرى صدر امرأة قط عند الخلوة إلا عند تعمدى المعانقة وبحسب ارتفاع صدرى نزول مؤخرى.

(١) مانى : أى كاذب ومفترى

(٢) مباعدا أومدان: أى بعيد أو قريب

(٣) شمائل: أى أخلاق.

(٤) إنزالا أى نزولا للمنى من العضو الذكرى عنده

فمثل هذا وشـبهه إذا وافق أخلاق النفس ولد المحـبة، إذ الأعضاء الحـساسة مسالك إلى النفوس ومؤديات نحوها) [1]

هذا هو كلام العلامه ابن حزم فى التفرقة بين الحب والشهوة، ولعلى لا أجد كلامـا أفضل ولا أعظم من كلامـه ولكن اسمـحوا لى أن أقول تلك العـبارة فى التفرقة بين الحب والشهوة (الحب يسير فى درجات والشهوة تنتهى بلحظات).

أقصـد بتلك العبـارة أنه عندما ينال المشـتهى شـهوته تنقطع كل الأحـاسيس الكاذبة، ولكن المحب يسير فى طريقه ويمضى إلى حـبيبه ثم يكون الحلال بالزواج فينال الشهوة التى هى من درجات الحب وعندما تنتـهى الشهوة يزيد الحب فالقصد بها هنا التقـرب نعم الشهوة تكون من أجل التقرب، لا شهـوة من أجل الشهوة، كما يظن بعض الضالين، الحب غاية يرجوها كل ذو قلب سليم، وينشده أصحاب العقول من يسيرون فى طريق قويم.

والآن وبعد أن عرفنا الحب ومعـناه وحقيقته ودرجاته اسـمحوا لى أن أعرض عليكم أشهر قصص ذكرت فى الحب وفى ضوء الإسلام.

***أشهر قصص الحب:**

سمعنا فى التلفـاز قصص لا حصر لها ولا عـدد، ورأينا ما يدلل على الحب فى هذا الجهاز، ولكن اسـمحوا لى أن أقول: إن ما يعرضه هـذا الجهاز ما هو إلا حب زائف، لأن الحب كـما ذكـرنا من قبل ليس الوصـول إلى المرأة أو العكس، ولكن الحب ائتلاف الأرواح والنـفوس، حيث تمتـزج وتذوب فى إطار الحلال، لا الحرام كما نرى، وأن كل رجل يندفع وراء المرأة لينال منهـا تحت ستار كلمة الحب ماهو إلا مـخادع أفاك أثيم، فإن المحب لا يرضى إلا بسـمو حبيـبه ورفعتـه، فلا يطلب إلا الحلال، وإن لم يكـن الحلال، فالموت أرحم من الحـرام. وحتى لا أطيل عليكم فلنقـرأ تلك القصة التى سـاقهـا العلامة ابن القـيم فى كتـابه القيم (الداء والدواء)هذه القصة طويلة ولكنى لم أرد الاختصار فيها، أتدرون لم؟

لأنى عندما قرأتها استطولتها ولكن عندما وصلت إلى نهايتها بكيت رغما عن

(١)طوق الحمامة لابن حزم ٣٣ـ ٣٥.

أنفى ، لما فى تلك القصة من عواطف ومشاعر تعبر عن الحب الصادق، الحب الذى نادرا ما يوجد فى عصرنا الذى امتلأ بالأكاذيب والخداع، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم أعظم قصص الحب.

*** أعظم قصص الحب:**

يقول العلامة ابن القيم قال عبد الله بن معمر القيسى: حججت سنة ثم دخلت ذات ليلة مسجد المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ، فبينا أنا جالس بين القبر والمنبر إذ سمعت أنينا، فأصغيت إليه، فإذا هو يقول:

أشجاك نوح حمائم السِّدْر	أهجن منك بلابل الصدر
أم عزَّ نومك ذكر غانية	أهدت إليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دَنِف[1]	يشكو السهاد وقلة الصبر
سلمت من تهوى لحر جوىً	متوقد كتوقد الجمر
فبدر يشهد أننى كنف	مغرم بحب شبيهة البدر
ما كنت أحسبنى أهيم بها	حتى بليت، وكنت لا أدرى

ثم انقطع الصوت، فلم أدر من أين جاء؟، وإذا به قد أعاد البكاء والأنين ثم أنشد:

أشجاك من ريا خيال زائر	والليل مسود الذوائب عاكر
واغتال مهجتك الهوى برسيسه	واهتاج مقلتك الخيال الزائر
ناديت ريا والظلام كأنه	يمٌ تلاطم فيه موج ذاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه	ملك ترجل والنجوم عساكر
وترى به الجوزاء ترقص فى الدجى	رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
ياليل، طلت على محب ماله	إلا الصباح مساعد وموازر
فأجابنى: مت حتف أنفك واعلمن	أن الهوى لهو الهوان الحاضر

(١) الدنف: هو الذى أضناه الهوى وأسقمه (أمرضه) الغرام

قال: وكنت ذهبت عند ابتدائه بالأبيات فلم ينتبه إلا وأنا عنده، فرأيت شابا مقتبلاً شبابه قد خرق الدمع فى خده خرقين، فسلمت عليه.

فقال: اجلس من أنت؟

قلت: عبد الله بن معمر القيسى.

قال: ألك حاجة؟

قلت: نعم، كنت جالسا فى الروضة، فما راعنى إلا صوتك، فبنفسى أفديك فما الذى تجد؟

فقال:ـ أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى، غدوت يومًا إلى مسجد الأحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد، فإذا أنا بنسوة قد أقبلن يتهادين مثل القطا، وإذا فى وسطهن جارية بديعة الجمال، كاملة الملاحة، فوقفت على فقالت: يا عتبة، ما تقول فى وصل من طلب وصلك؟ ثم تركتنى وذهبت فلم أسمع لها خبرا، ولا قفوت لها أثرًا، وأنا حيران أنتقل من مكان إلى آخر، ثم صرخ وأكب مغشيا عليه، ثم أفاق كأنما صبغت وجنتاه بروس ثم أنشد:

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة فؤادى	فيا هل ترونى بالفؤاد على بعدى
وطرفى يأسفان عليكم	وعندكم روحى، وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم	ولو كنت فى الفردوس فى جنة الخلد

فقلت: يابن أختى تب إلى ربك واستغفره من ذنبك، فبين يديك هول المطلع.

فقال:ـ ما أنا بسالٍ حتى يؤوب القارظان[1].

ولم أزل معه إلى أن طلع الصبح.

فقلت:ـ قم بنا إلى مسجد الأحزاب، فلعل الله أن يكشف كربك.

فقال: أرجو ذلك إن شاء الله بركة طاعتك، فذهبنا حتى أتينا مسجد الأحزاب فسمعتة يقول:

(١) ما أنا بسال حتى يؤوب القارظان:ـ هذا مثل عند العرب، فالقرظ:ـ شجر يدبغ به، خرج إليه ذات يوم رجلان وهما عنزة والآخر عامر بن تميم بن يقدُم بن عنزة، خرجا ينتحيان القرظ ويجتنيانه فلم يرجعا فضرب بهم المثل(حتى يؤوب القارظان) أى يرجعا وهما لن يعودا بالطبع بعد كل هذا العمر راجع لسان العرب لابن منظور: ٥/ ٦٣ طبعة دار الجيل

يا للرجـــال ليوم الأربعاء، أما ينفك يحـدث لى بعـد النهى طربا
ما إن يزال غـــزال منه يقتلنى يأتى إلى مسجـــد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجـــــر همته وما أتـــى طالبا للخــير محتسبا
لو كـان يبغى ثواباً ما أتـــى صلفاً مضمخـــاً بفتيت المسك مختضبا

ثم جلسنـا حـتى صلينا الظهــر، وإذا بالنســوة قـد أقـبلن وليــست فـيـهن الجارية، فوقفن عليه وقلن له: يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك، وكاسفة بالك؟،

قال: وما بالها؟

قلن: أخذها أبوها وارتحل أرض السماوة، «صحراء بين الكوفة والشام».

فسألتهن عن الجارية

فقلن: هى ريا ابنة الغطريف السلمى.

فرفع عتبة رأسه إليهن وقال:

خليلى، ريـا قـد أجدَّ بكـوهـا وسـارت إلى أرض السمـاوة عيرهـا
خليلى، إنى قد عشيت[1] من البكى فـهـل عـنـد غيـرى مقلة أستعيرهـا

فقلت له: إنى قد وردت بمال جزيل، فقم إلى مســجد الأنصار، فقمنا وسرنا حتى أشرفنا على مـلأ منهم، فسلمت فأحسنوا الرد، فقلت: أيهـا الملأ ما تقولون فى عتبة وأبيه؟.

قالوا: من سادات العرب.

قلت: فـإنه قد رُمى بداهـية من الهـوى، وما أريـد منكم إلا المساعـدة إلى السماوة.

فقالوا: سمعا وطاعة.

فركبنا وركب القوم معنا حـتى أشرفنا على منازل بنى سليم، فأعلم الغطريف

---

(١) عشيت: ضعف بصرى مأخوذة من العشا: ضعف البصر

بنا فخرج مبادراً فاستقبلنا.

وقال: حييتم يا كرام.

فقلنا: وأنت فحياك الله، إنا لك أضياف.

فقال: نزلتم أكرم منزل، ثم نادى: يا معشر العبيد أنزلوا القوم.

ففرشت الأنطاع والنمارق وذبحت الذبائح

فقلنا: لسنا بذائقى حتى تقضى حاجتنا.

فقال: وماحاجتكم؟

قلنا: نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر.

فقال: إن التى تخطبوها أمرها إلى نفسها، وأنا أدخل أخبرها.

ثم دخل مغضباً على ابنته

فقالت: يا أبت مالى أرى الغضب فى وجهك.

فقال: قد ورد الأنصار يخطبونك منى.

فقالت: سادات كرام، استغفر لهم النبى ﷺ ، فلمن الخطبة منهم؟

فقال: لعتبة بن الحباب.

قالت: والله لقد سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد، ويدرك إذا قصد.

فقال: أقسمت لا زوجتك به أبداً، ولقد نُمى إلى بعض حديثك معه.

فقالت: ما كان ذلك، ولكن إذا أقسمت فإن الأنصار لا يردون رداً قبيحا، حسن لهم الرد.

فقال: بأى شىء؟

فقالت: أغلظ لهم المهر، فإنهم يرجعون ولا يجيبون.

فقال: ما أحسن ما قلت، ثم خرج مبادراً.

فقال: إن فتاة الحى قد أجابت، ولكنى أريد لها مهر مثلها، فمن القائم به؟

فقال عبد الله بن معمر : أنا، فقل ما شئت

فقال: ألف مثقال من الذهب ومائة ثوب من الأبراد، وخمسة أكرشة عنبر.

فقال عبد الله : لك ذلك كلة، فهل أجبت؟

قال : أجل

قال عبد الله : فأنفذت نفراً من الأنصار إلى المدينة فأتوا بجميع ما طلب، ثم صنعت الوليمة، وأقمنا على ذلك أياماً.

ثم قال: خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين، ثم حملها فى هودج وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع والتحف.

فودعناه وسرنا، حتى إذا بقى بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة أحسبها من سليم، فحمل عليها عتبة بن الحباب، فقتل منهم رجالاً، وجرح آخرين.

ثم رجع وبه طعنة تفور دماً، فسقط إلى الأرض، وانثنى بخده، فطردت عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه.

فقلنا: واعتبتاه. . . . . فسمعتنا الجارية.

فألقت نفسها من البعير، وجعلت تصيح بحرقة، وأنشدت:

تصبرت لا أنى صبرت، وإنما ... أعلل نفسى أنها بك لاحقة

فلو أنصفت روحى لكانت إلى الردى ... أمامك من دون البريه سابقة

فما أحد بعدى وبعدك من نصف ... خليلاً ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت وقضت نحبها« أى ماتت»

فاحتفرنا لهما قبراً واحداً ودفناهما فيه، ثم رجعت إلى المدينة فأقمت سبع سنين، ثم ذهبت إلى الحجاز ووردت المدينة،

فقلت: والله لآتين قبر عتبة أزوره، فأتيت القبر، فإذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر، فقلت لأرباب المنزل: ما يقال لهذه الشجرة؟

قالوا: شجرة العروسين[1]

ما أجمل الكلمات وما أصدق المعانى فى الحب بعد تلك القصة التى ساقها العلامة ابن القيم، هذا هو الحب الصحيح، هذا هو الحب الذى تجرد من الشهوة والوقوع فى المحرمات، فكان حباً خالداً دائماً.

وأستميحكم أن لا أطيل فى الحديث عن القصة السابقة فهى تتحدث عن نفسها فى قلب وفكر وعقل كل من يقرأها، ولكن دعونى أعرض عليكم قصة يقال إنها قصة حب ، ولكنها فى نظرى ليست كذلك ، وإنما هى قصة عن الشهوة و«حب العبيد» كما أطلقت عليها، فمن يكن فى حبه مريداً للشهوة كغاية فما هذا إلا حب العبيد. ولنقرأ سويا القصة ثم أترك لكم الحكم فى مقولتى إن حب الشهوة ما هو إلا حب العبيد .

*** حب العبيد:**

يقول العلامة ابن القيم: قال الخرائطى: كان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان، فكتب الغلام إليها يوماً:

ولقد رأيتك فى المنام كأنما	عاطيتنى من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى، وكأننا	بتنا جميعاً فى فراش واحد
فطفقت يومى كله متراقداً	لأراك فى نومى ولست براقد

فأجابته الجارية:

خيراً رأيت، وكل ما أبصرته	ستناله منى برغم الحاسد
إنى لأرجو أن تكون معانقى	فتبيت منى فوق ثدى وناهد
وأراك بين خلاخلى ودمالجى	وأراك فوق ترائبى ومجاسدى

فبلغ ذلك سليمان فأنكحها الغلام، وأحسن حالهما على فرط غيرته[2]

(١) الداء والدواء للعلامة ابن القيم :٢٤٤ ــ ٢٤٧.

(٢) الداء والدواء للعلامة ابن القيم : ٢٦٣

هذه هى القصة، فما حكمكم؟

أيا كان الحكم، فإنى لا أراه إلا حب عبيد فـالحب إن كانت غايته الشهوة كان حب كذب وخداع، وإن كان مبلغه الحـب فذا هو الحب الصادق، الحب من أجل الحب وأختم أشهر قصص الحب، الكلام عـن أحد الفقهاء واضع هذا الكلام تحت عنوان حب الفقهاء.

❊ حب الفقهاء:

هذا الحب من الـنادر أن يوجد فى عصر كعـصرنا هذا، فحب الفـقهاء حب غاية فى العفة والطهارة، فالفقيه رجل عالم بأصول دينه يفهم جيداً أن الحب شىء سامى يجب أن يحافظ عليه.

وحتى لا أطيل عليكم فلنذهب سوياً لنـقرأ ما كتبه العلامة ابن القيم فى شأن الفقيه الذى عشق.

يقول الإمام: ونحن لا ننكر فساد العشق الذى متعلقه فعل الفاحشة بالمعشوق، وإنما الكلام فى الـعشق العفيف، من الرجـل الظريف، الذى يأبى له ديـنه وعفته ومروءته أن يـفسد ما بيـنه وبين الله وما بيـنه وبين معـشوقه بالحرام، وهـذا عشق السلف الكرام والأئمة الأعلام، فهذا (عبيـد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود) أحد الفقهاء السـبعة عشق حتى أمره، ولم ينكر علـيه، وعُدّ ظالماً من لامه، ومن شعره:

كتمت الهوى حـتى أخبرك الكتـم ... ولامك أقـــوام، ولومهـــم ظلم

فَنَّم عليك الكاشحـــون، وقبلهم ... عليك الهـــوى نمَّ، لـو ينفع الكتم

فأصبحت كالهندى[1] إذ مات حسرة ... على إثـر هند، أو كمن شفـه سقم

تجـنبت إتـيـــان الحبـيــب تـأثمـا ... ألا إن هجران الحبيب هـــو الإثم

فذق هـجرها، قد كـنت تزعـم أنه ... رشـاد، ألا ياربمـا كـذب الزعـم[2]

---

(١) كالهندى: أى الذى يحب هند ويعشقها وهو شائع فى لغة العرب

(٢) انظر الداء والدواء للعلامه ابن القيم: ٢٤٠

هذا هو حب الفقهاء وعشقهم، ولكن أكون جاهلاً إذا أردت أن أعلق على تلك القصة، فلقد علق عليها الإمام قبل ذكرها، ولكن حسبى أن أقول فلننتقل سويا إلى موضوع جديد، هذا الموضوع غاية فى الأهمية لذا أرجو من العلى القدير أن أوفق فى شرح هذا الموضوع هو الحب فى حياة النبى محمد ﷺ.

*** الحب فى حياة النبى محمد ﷺ:**

إن الحب من أرقى وأسمى المشاعر، ومحمد ﷺ من أرقى وأسمى الناس، فلابد أن يكون من أعظم المعبرين عن الحب، فالحب أنظومة كتبت منذ البداية وستظل حتى النهاية، ومن محمد ﷺ تنبع أجمل كلمات الحب وأسمى معانيه.

نعم إن رسول ﷺ وردت عنه أحاديث فى شأن من أحبها ليعلن لنا أن الحب فى الإسلام أمر جائز ومستحب، لا يتركه إلا عديم القلب والمشاعر، وإن من أهم سمات الحب هو كثرة الحديث عن الحبيب لذا فإنا سنقرأ الحديث الأول فى عرض رسول الله ﷺ اسم حبيبته على الرجال، ثم فى الحديث الثانى نقرأ كيف عرض رسول الله ﷺ اسم حبيبته على النساء، فمن أهم صفات الحب أنك تريد أن يعلم الجميع أنك تحب فلانة، لأن الحب الأصلى فيه الظهور والنماء كما تحدثنا من قبل وحتى لا أطيل عليكم فلنقرأ سويا الحديثين.

الحديث الأول (عن عمرو بن العاص، قال: سألت رسول الله ﷺ : أى الناس أحب اليك؟ قال: « **عائشة**»، فقلت: ومن الرجال؟ قال: « **أبوها**»، فقلت ثم من؟ قال: «**عمر** » ثم عد رجالا) أخرجة الشيخان والترمذى [١]

أما الحديث الثانى(عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: أرسل أزواج النبى ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فأستأذنت عليه وهو مضطجع معى فى مرطى. فأذن لها.

فقالت: يارسول الله! إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة. وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ :ـ « **أى بنية! ألست تحبين ما أحب؟** » فقالت: بلى

(١) انظر حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة: ٣٤٠

قال: « فأحبى هذه»، قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ . فرجعت إلى أزواج النبى ﷺ فأخبرتهن بالذى قالت. وبالذى قال لها رسول الله ﷺ)[١].

هذا هو الحديث الثانى والذى صرح فيه ﷺ بحبه لعائشة أمام ابنته، وبالتالى أمام النساء، ولقد كانت هناك قصص عن عائشة أم المؤمنين وحبها لمحمد ﷺ وكذا حبه لها ولكن يضيق هنا المقام عن ذكرها. لذا سنذكرها إن شاء الله فى كتابنا القادم (النساء فى حياه الأنبياء) حيث سنستعرض فيه أجمل قصص الحب والغيرة والفرح والمرح بين محمد ﷺ وعائشة، وكذا بين الأنبياء وبعض النساء ونطلع على أسرار لم يتطرق إليها أحد.

وحتى لا نطيل فلنختم الحب فى حياة رسول الله ﷺ بقصة غاية فى الجمال والروعة، وتطرقت إلى الغيرة، لأن الغيرة درب من دروب الحب هذه القصة جاءت فى الحديث الذى رواه القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا خرج أقرع بين نسائه. فطارت القرعة على عائشة وحفصة. فخرجتا معه جميعا. وكان رسول الله ﷺ، إذا كان بالليل، سار مع عائشة، يتحدث معها.

فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيرى وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر؟

قالت: بلى « أى وافقت».

فركبت عائشة على بعير حفصة. وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه حفصة فسلم ثم سار معها حتى نَزَلُوا. فافتقدته عائشة فَغَارَتْ.

فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخرِ، وتقول: يارب! سلط على عقرباً أو حَيَةً تلدَغُنى. رسولك ولا أستطيع أن أقول لَه شيئا[٢].

---

(١) الحديث علقه البخارى فى الهبة بعد حديث رقم (٢٥٨١) تحت باب «من أهدى إلى صاحبه» فتح البارى: ٥/ ٢٢٥ ورواه مسلم حديث رقم (٦١٧٣) تحت باب «فضل عائشة رضى الله عنها» مسلم بشرح النووى ٧/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ النص لمسلم وهذا جزء طويل ورواه النسائى فى عشرة النساء ٧/ ٦٤.

(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح حديث رقم(٥٢١١) باب القرعة بين النساء، انظر فتح البارى: ٩ / ٣١٠ ورواه مسلم فى كتاب الفضائل حديث رقم (٦١٨١) باب فضل عائشة: ٧ / ٤٦٢، ورواه النسائى فى عشره النساء الكبرى على ما فى تحفة الأشراف : ١٢ / ٢٦٢.

هذا الحديث دلالة على غيرة عائشة رضى الله عنها، فالحب المتوهج فى قلبها دفعها لتقول «يارب سلط على عقربا أو حية تلدغنى. رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئا»، فكان أهون عليها لدغ العقرب أو الحية من فراق حبيبها محمد ﷺ

ما أجمل الحب، هذا هو الحب الحقيقى مجرد من الانتفاعيات مملوء بالأحاسيس والمشاعر، وحتى لا نطيل أعدكم إن شاء الله فى كتابى المقبل(النساء فى حياة الأنبياء) أن أذكر تفاصيل غاية فى الغرابة داخل بيت النبوة ستكون هذه التفاصيل مصدر تأمل وتدبر لكثير من الناس ولكن هذا الكتاب لا أستطيع أن أطيل فيه أكثر من هذا، ولنمضى سويا لنرى هل ياترى للحب تأثير على ليلة الزفاف أم لا.

*****

الفصل الثانى

الحب وليلة زفاف ساخنة

* الاستعداد النفسى لليلة الزفاف.
* الاستعداد الحسى والجسدى لليلة الزفاف.
  - المرحلة الأولى.
  - المرحلة الثانية.
  - المرحلة الثالثة.
* طريقة فض غشاء البكارة.
* الارتواء الجنسى عند الإناث.

إن من أكثر الأشياء التى تهم الشباب وتشغل فكرهم هذا الموضوع الذى نحن بصدده، فكثير من الشباب يتساءل، ماذا أفعل ليلة الزفاف؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول والله الموفق، أن ما ذكرناه عن الحب كان من أهم أفعال ليلة الزفـاف، وحتى لا يكون بكلامنا غموض اسمـحوا لى أن أعرض لكم كلام أبو إسحاق بن إبراهيم فلقد قال: «أرواح العشق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة خفيفة، نزهتهـم المؤانسة، وكلامهم يحيى موات القلوب ويزيد فى العقول، ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا»[1].

هذا الكلام يجعلنى أسير وراءه لأقول إن المحبين تكون لهم ليلة الزفاف، ليلة امتزاج، يذوب فيه المحب فى حبيبه، فذا يبعث شكوى، وذا طبيب، يداوى جرح ما كان من بعاد. ويروى بماء الحب ما كان من ظمأ فيطيب.

هذه هى الإجابة فلو كان الشاب يحب الفـتاة لحدث له ما قد نقلناه، وإن لم يكن بالحب هائم فمـا هو إلا غارم، وذا يعود إلى أشـياء هامة جدًا جـدًا وهى ما سيأتى بيانها.

أولا: الاستعداد النفسى لليلة الزفاف:

إن المحب يهيـم عادة، ويتمنى لقـاء حبـيبـه حتى يتسنى لـه الارتياح، وتملأ أعضاءه لذة اللقاء، فإن كان الشاب يحب من تزوجها، فسيكون الاستعداد النفسى لليلة الزفاف غاية فى العلو والارتقاء.

وإن لم يكن يحبها فسيكون غاية فى التوتر والقلق، وهنا

اسمحوا لى أن أقـول: إن جميع علماء التناسليات وكـذلك علماء النفس قد أثبتوا أن القلق والتوتر قد يقود إلى ما يسمى بـ (الربط) ومعنى تلك الكلمة العجز عن القيام بالعملية الجنسية، أتدرون لم؟

---

(١) انظر الداء والدواء: ٢٣٩.

لأن هذا الشاب الذى تزوج بامرأة لا يحبها قد أوقع نفسه فى شباك إثبات الذات، فهو يريد أن يثبت لمن تزوجها أنه رجل، فيسود تفكيره حالة من القلق والاضطراب قد تؤدى إلى ضعفه أو عدم قدرته على العملية الجنسية

ولقد أوضح الدكتور السيد فهمى ذلك حين قال: إن من أهم أسباب العنة الخوف من الفشل فى العملية الجنسية وأعراض الغنة هى:ـ

١ ـ لا يظهر ميلا إلى الجنس الآخر رغم عطفه أو حنوه عليه، وليس بسبب كره أو حقد ولكن يكون بسبب كامن.

٢ـ فقد الانتصاب، وقد يوجد الانتصاب إلا ساعة الضرورة فيفقد« أى عند مسألة الجماع مع الزوجة لا يكون هناك انتصاب» وإذا حدثت كذلك نادرًا فهى ليست حالة مرضية، أما إذا تكررت فهى حالة عنة.

٣ ـ القذف المبكر وسببه خيالات. وعدم التوافق التام بين الشخصين.

٤ ـ عدم الوصول إلى الاسترخاء أو الانبساط ومع ذلك لا يستطيع المنى النزول من العضو الذكرى.

٥ ـ عدم حدوث الرضا والشعور باللذة بعد القذف، ويستمر الشخص فى غيظ ونكد من ذلك لفترة طويلة.

٦ ـ عدم حدوث الاتصال بالرغم من تهيئة الجو خاصة من ناحية الملابس والأوضاع الصحيحة لحدوث العملية.

هذه هى العنة قد ترجع لسبب عضوى كالأنيميا الشديدة أو مرض تصلب الشرايين أو قد تحدث بسبب عادات سيئة محرمة من الشرع كإدمان الخمور والمخدرات، ولكن غالبا ما تحدث بسبب الخوف من الفشل فى العملية الجنسية وغالبا ما يتملك هذا الخوف الرجل الذى يتزوج بالطريقة التقليدية «هذه الطريقة هى أن تقول الأم لابنها:ـ إن فلانة جيدة فهيا استعد يا بنى ولا تجعل تلك الفتاة تخرج من يدك، فيندفع الشاب للزواج دون حب أو تريس» فتكون النتيجة خوف من ليلة الزفاف يتبع هذا الخوف ليلة زفاف غير هادئة على الإطلاق.

ولكن إن أحب هذا الفتى تلك الفتاة فستكون هناك الحرارة التى تلهب حسه وتحرك سواكنه فالحب هو وحده القادر على أن يغير نفس هذا الشاب، فلم نرى فى حياتنا رجل يحب امرأة ويخشى ليلة الزفاف، أين ذلك المحب الذى لا يريد لقاء محبوبته. . . !

ثانيا: الاستعداد الحسى (الجسدى) لليلة الزفاف:

بالطبع الجسد يتحرك بإملاء العقل والقلب والروح، فإن كان الشخص يحب من تزوجها فسيسير جسده بلا شك نحوها وهو غاية فى الانسجام والألفة ولكن لنتوقف هنا قليلا فالاتصال الجسدى يعد من أهمْ عوامل تلك الليلة فيا ترى كيف يؤدى على الوجه الأكمل؟ وهل للعلم والدين هنا رأى؟

وللإجابة نقول وبالله التوفيق، إن الاتصال الجسدى له ثلاثة مراحل:

*** فالمرحلة الأولى:**

هى اللمس وما إلى ذلك من مثيرات، كالقبلة وطواف اليد حول المناطق الشبقية (الجنسية) واسمحوا لى أن أعرض لكم قول الطب فى ذلك من خلال ما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد كمال وكان نصه: «يعتبر الفم من أهم مناطق الإثارة فى الجنسين وكذلك الجلد المجاور له ولا نقصد بالفم الشفتين فقط بل لابد من اعتبار اللسان بل والحنك من المناطق الشبقية.

والقبلة العادية أى الشفتان مضمومتان وكذلك القبلة والشفتان منفرجتان لاستقبال إحدى شفتى الطرف الآخر لمصها أو لتقبيلها تقبيلاً مصحوبًا بالدغدغة الخفيفة أحيانًا والعنيفة أحيانا أخرى أنواع من التقبيل معروفة للجميع إلا أن الملاحظ أنها لا تستغل الاستغلال الواجب عند اللقاء الجنسى إذ يؤدونها فقط كمقدمة وينسون أنها جزء لا يتجزأ من العملية نفسها واجبة الأداء حتى النهاية.

وليس صحيحا أن تقبيل الفم فى صوره المختلفة يؤدى للإناث دون الذكور فالشفتان منطقتان مثيرتان للاهتياج الجنسى عند الرجل والمرأة على حد سواء وتخطئ الزوجة إذا أسقطت من برنامج إثارتها لزوجها تقبيلها لفمه من شفتين ولسان وليس من شك أن التقبيل إذا صاحبه لمس مناطق شبقية أخرى يزيد من إثارة

الشهوة فاللعب بالشعر أو لمس الجلد حول الأذن أو لمس الثدى أو لمس أعضاء التناسل أو مجاوراتها له أثره فى إدخال المسرة الحسية والمتعة النفسية إذ ليس الغرض من المثيرات هو الوصول فقط إلى الاهتياج الضرورى لمباشرة العملية إنما من أغراض أو أهداف المثيرات بصفتها جزءًا لا يتجزأ من العملية نفسها هو إيقاظ الإحساس اللذاذى ليصل إلى ذروته عند الانتهاء من العملية.

واستغلال الفم فى التقبيل ليس قاصرًا على فم الطرف الآخر فتقبيل الرقبة أو الأذن أو الصدر أو الثدى أو غيرها من المناطق الجنسية الأخرى أمر متروك للزوجين وهذا ضرورى وحيوى وهناك أيضا مواضع جنسية غريبة عند بعض الإناث فتقبيلها أو حتى لمسها يسبب الإثارة الكاملة كأعلا الظهر وأصابع القدم.

والأزواج ملزمون بهذا الشىء عن مثل هذه المناطق لأن ما جبلت (أى اعتادته منذ القدم) عليه المرأة من خجل قد يمنعها من مصارحة زوجها بما يثيرها وما لا يثيرها ولو أننا لا نقر الزوجات على ذلك إذ ما دام الغرض من اللقاء الجنسى هو استمتاع الطرفين».

هذا هو كلام الطب فى شأن المرحلة الأولى، فدعونا ننظر ما هى المرحلة الثانية.

*** المرحلة الثانية:**

عملية الإيلاج أو بالمعنى الواضح الجماع بالإدخال وبالطبع هذا هو المنشود فى العملية الجنسية، والحب هو العامل الرئيسى فى تلك المسألة، واسمحوا لى أن أستعرض لكم كيف تتم عملية الإدخال ثم أستعرض بعد ذلك كيف أن للحب عامل رئيسى فى تلك العملية.

يقول الدكتور أحمد كمال فى أبحاثه إكمالاً لما سبق: «وبعد عملية الإثارة باللمس وأيضا بالتقبيل وغيره يحدث احتقان دموى وهذا الاحتقان فى الرجل هو أساس الانتشار (أى انتصاب) عضو تناسله، ويحدث هذا الاحتقان فى الأنثى امتلاء نسيج البظر بالدم فيزيد من حساسيته وكذلك يؤدى الاحتقان إلى نشاط الغشاء المبطن للمهبل فيفرز مادة شبه مخاطية تغطيه ببلولة تساعد عل سهولة آلية

العملية نفسها وهناك أثر فسيولوجى آخر ينتج من الإثارة وهو قيام الغدد المدفونة فى مجرى بول الرجل بإفراز مادة لزجة نوعا ما تسمى بالمزى أما فى الأنثى فينتج عن الإثارة قيام غدتين صغيرتين مدفونتين فى نسيج الشفرين الصغيرين بإفراز مادة مماثلة وهذان الإفرازان كالبلولة التى تصيب الغشاء المبطن للمهبل وظيفتهما سهولة آلية العملية نفسها.

هذا ما أردنا إيضاحه عن نتيجة ما سبق وذكرناه بشأن المثيرات، ولكن مسألة الإدخال فى ليلة الزفاف تختلف عن أى ليلة أخرى، وهذا يرجع إلى وجود غشاء البكارة الذى يجب فضه فى أول ليلة، وحتى لا نطيل فإن فض غشاء البكارة يحدث بعد ما ذكرناه من مثيرات، ولكن بطريقة خاصة وهى:

*** طريقة فض غشاء البكارة:**

قبل أن نذكر طريقة فض الغشاء ينبغى أن نذكر معلومة هامة، هذه المعلومة هى: أن العروس صغيرة السن من السهل فض غشائها دون ألم يذكر وبضغط بسيط وقد لا تنزف هذه الصغيرة سوى بضع نقط قليلة من الدم وذلك لقلة ما يسرى فى نسيج الغشاء من دم إذ رقته لا تحتاج إلى دم كثير.

ونعود فنقول إن أسهل طريقة لفض غشاء البكارة تكون بإبعاد الفخذين عن بعضهما لأقصى ما يمكن مع ثنى مفصلى الفخذين إلى أعلا نحو البطن وإلى الجانبين.

هذا الوضع يساعد على شد غشاء البكارة شدًا يجعل تمزقه سهلاً فحسب بل يتم ذلك فور الضغط عليه.

ولكن المشاهد هو أن العروس تتخيل أن تلك العملية مؤلمة أو تخشى أن تفعل ما سبق وذكرناه حتى لا يظن بها العريس ظنًا سيئا فتعاكس ما ذكرناه فلا تمر العملية بيسر، وهذا أيضا هو سبب احتياج مثل هذا الغشاء إلى ضغط قوى نسبيا لفضه ثم وجود الأعصاب يجعل العملية مؤلمة لحد كبير وكذلك وجود الأوعية الدموية فى الغشاء هو سبب كثرة الدماء التى تنزف منه عند فضه.

ونشرح فنقول لا بضم العروس فخذيها فقط بل أيضا بشد جميع عضلات جسمها وقبضها معاكسة بذلك يسر العملية فتزداد محاولة الزوج فى إنهائها وتكرار المحاولة يطيل الوقت الذى يصح إنهاء العملية فيه، فإذا أضفنا إلى ذلك أن شد العضلات وقبضها يزيدان من تنبيه الأعصاب، وصح لنا لماذا تشكو البكارى من ألم فض بكارتهن مع أنه لا يتعدى ألم عادى لا يستغرق أكثر من ثانية.

وأخيرا بالنسبة لتلك المرحلة، فقد ذكرنا الحب يسهلها وبالطبع قد اتضح لنا ذلك، من خلال حديثنا عن عدم فتح المرأة رجلها خوف من شك الزوج، فإن كان الحب هو المسيطر كانت الأفعال تلقائية ولا يوجد بها أى تحرج أو تخوف.

*** المرحلة الثالثة:**

هى آخر مراحل العملية الجنسية وتسمى بالارتواء الجنسى، وحالة الارتواء الجنسى عند الرجل يعرفها الجميع فعندها يتم زوال المنى من العضو الذكرى ثم يشعر بعدها الرجل بهدوء الأعصاب والارتياح، ولكن فى حالة الأنثى فإن الوضع يختلف فلكل امرأة دلالة على كمال شهوتها وارتوائها الجنسى لذا فسنضع ارتواء المرأة فى عنوان خاص.

الارتواء الجنسى عند الإناث:

يختلف شكل الارتواء الجنسى عند المرأة من امرأة إلى أخرى، فمن النساء مثلا من لا ينتابها شىء غير عادى سوى الشعور براحة لها لذتها النفسية مع الرغبة فى الاسترخاء الجسمانى الكامل والنعاس.

ومنهن من يشتد التوتر عندهن ويتركز فى المراكز العصبية المهيمنة على مجموعات خاصة من العضلات، فمثلا قد يظهر ارتواء المرأة فى تقلصات فى العضلات المحيطة بفتحة المهبل وما جاورها من عضلات العجان وهناك حالات كثيرة معروفة للأطباء تعذر على الزوج فيها إخراج عضوه من فرج زوجته بعد الإمناء لما أصاب العضلات المهيمنة على مدخل الفرج من تقلص تشنجى شديد استوجب تخدير الزوجة كى تسترخى هذه العضلات.

ومثلاً قد يظهر الارتواء على صورة تقلصات تصيب عضلات الوجه إما لوحدها أو مصحوبة بانقباضات تصيب عضلات التنفس فتصاب السيدة بتنهدات تنفسية عميقة كثيرًا ما يصحبها تأوهات أو صراخات أو ميل إلى الغضب أو غرز الأظافر فى جسد الزوج، ومثلا قد يظهر الارتواء على صورة تقلصات تصيب عضلة الرحم نفسه أو عضلة جدار المثانة وما ينتج عن ذلك من ميل شديد للتبول.

هذا ورغم أن الارتواء الجنسى هو بمثابة الذروة لما أصاب السيدة من لذة ومتعة كثيرًا ما ينتاب السيدة عند الارتواء حالة عصبية عكسية فتنفر الزوجة من زوجها وتباعد بينها وبينه رافضة لمسه لأى بقعة أو مكان من جسمها.

وأحيانا ينتهى توتر الزوجة بإغراق الغدد العرقية المدفونة فى سطح الجلد فى أشفار جهازها التناسلى وكذلك إغراق الخلايا المخاطية المبطنة للمهبل - نقول أحيانا ينتهى التوتر بإغراق هذه الغدد وتلك الخلايا بالدم فتغرق الأنثى ويصيب فرجها بلوله ملموسة وإذا أصبحت هذه الظاهرة انقباض فى عضلة الرحم فجائز أن تنفرج فتحة عنقه فيهبط منه بعض المخاط مما يزيد من بلولة الفرج.

هذه هى صورة الارتواء ولكن هناك صور أخرى يعرفها الأطباء وكذلك بعض النساء، واسمحوا لى أن أقول لكم أن تلك الصور لا يمكن ذكرها وذلك يعود إلى شذوذ تلك الحالات وندرتها فى عصرنا الحالى.

هذه هى المراحل الثلاثة للعملية الجنسية ولقد ذكرنا من خلال المراحل الثلاثة رأى الأطباء، ورأيت أن يكون خير ختام لتلك المسألة ما ورد فى الكتاب والسنة، لأن هناك بعض الحمقى يناشدون بعدم الإكثار فى هذه القضية، مخالفين بذلك رأى الدين وأهل العلم، وأول ما نستعرضه هو الملاعبة أو بالمعنى الأصح المقدمات والمثيرات التى ذكرها أهل الطب، حتى يتسنى أنُ نعلى صوتنا لنقول ما من شىء تُرِك فى هذا الدين الحنيف

أولا نذهب سويا فنقرأ فى كتاب زاد المعاد للعلامة ابن القيم حين قال أربع من سنن المرسلين: «النكاح والسواك والتعطر والحناء» روى فى الجامع بالنون والياء وسمعت أبا الحجاج الحافظ يقول: الصواب أنه الختان وسقطت النون من الحاشية

وكذلك رواه المحاملى عن شيخ أبى عيسى الترمذى ومما ينبغى تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة وتقبيلها ومص لسانها وكان رسول الله ﷺ يلاعب أهله ويقبلها. وروى أبو داود فى سننه أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمص لسانها. ويذكر عن جابر ابن عبد الله قال:- نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة[1].

هذا هو كلام العلامة ابن القيم ولقد ضم عدد من الأحاديث التى تبين كيف أن للجماع مقدمات.

واسمحوا لى أن أضيف على ما قاله العلامة ابن القيم بعض روايات ذكرت فى البخارى وغيره وهى على الترتيب: عن جابر بن عبد الله قال: قفلنا مع النبى ﷺ من غزوة، فتعجلت على بَعيرٍ لى قَطوف، فلحقنى راكبٌ من خلفى، فنخس بعيرى بعَنَزةٍ كانت معه، فانطلق بعيرى كأجود ما أنت راءٍ من الإبل فإذا النبى ﷺ،

فقال: «ما يُعجِلُكَ»؟

قلت: كنت حديث عهد بعُرس.

قال: **«أبكرًا أم ثيبا»؟**

قلت: ثيبًا.

قال: **«فهلا جارية تُلاعبُها وتُلاعبُك»**.

فلما ذهبنا لندخل.

قال: **أمهِلوا حتى تدخلوا ليلاً - أى عِشاءً - لكى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة»**[2].

هذا الحديث فيه دلالة لشيئين هامين هما: المداعبة والملاعبة من أسس النكاح وبهذا أوصى النبى محمد ﷺ حين قال **«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك»** والشىء الثانى هو الدخول على الزوجة بعد أن تكون تهيأت حتى تحلو فى عين الزوج،

---

(١) انظر زاد المعاد للعلامة ابن القيم: ٣/ ٢٢٣ دار الريان للتراث.

(٢) انظر فتح البارى: ٩/ ١٢١ حديث رقم (٥٠٧٩) باب تزويج الثيبات.

فلايدخل الزوج على زوجته بغتة وهى غير مستعدة فينبغى أن تأخذ زينتها ثم يراها الزوج حتى تقع دائما فى قلبه فللجمال أثر كبير فى مسألة الجماع وهذا من قول رسول الله ﷺ **«أمهلوا حتى تدخلوا ليلا - أى عِشاءً - لكى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة»** ومعنى ذلك الزينة وإزالة الشعر.

وحديث آخر عن عائشة قالت «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بينى وبينه واحد، تختلف أيدينا فيه فيبادرنى حتى أقول: دع لى - دع لى وهما جنبان».

وفى هذا الحديث بيان أن بعد مسألة الملاعبة والجماع ينبغى أن يظل الاستلطاف والمداعبة واسمحوا لى بأن لا أكثر فى هذا الشأن وهو (الاستلطاف والمداعبة) لأنى سأطيل وأستفيض فيه إن شاء الله فى كتابنا (النساء فى حياة الأنبياء)، ولكن فى الحديث الأخير دلالة على أن كشف جسم المرأة لزوجها أمر جائز ومطلوب وأيضا كشف جسم الرجل كاملا للمرأة، وذلك بخلاف ما ذكره بعض الناس حين قالوا (إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى) فهذا الحديث الذى ساقوه (يورث العمى) حديث موضوع كما قال ابن الجوزى فى كتابه (الموضوعات) فلا يعمل بهذا الحديث وإنما الأصل هو الكشف ورؤيا المفاتن وفى ذلك قول الشاعر:-

واحذر من الجماع فى الثياب ... فهو من الجهل بلا ارتياب!!

بل كل ما عليها - صاح - فانزع ... وكن ملاعبًا لها لا تفزع[1]

وأختم قولى بخير كلام وهو كلام الواحد الديان فى قوله عز وجل **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** وهذه الآية دليل على أن الإسلام يهتم بتلك المسألة (مسألة النكاح) لأن النكاح أصل دوام النسل وبقاء النوع وقيام المجتمع فإن كان بحب وملاطفة كان مجتمعًا قيمًا بلا شك وريبة، وحتى لا نطيل فلنفسر تلك الآية لنعلم ذلك، واسمحوا لى أن نرى تفسيرها من مجموع الفتاوى للعلامة ابن تيمية.

«سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عما يجب على من وطئ زوجته فى

(١) انظر تحفة العروس: ١١٨، ١١٩.

دبرها؟ وهل أباحه أحد من العلماء؟؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. «الوطء فى الدبر» حرام فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلى ذلك عامة أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين، وغيرهم:- فإن الله قال فى كتابه: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ وقد ثبت فى الصحيح: أن اليهود كانوا يقولون إذا أتى الرجل امرأته فى قبلها من دبرها جاء الولد أحول، فسأل المسلمون عن ذلك النبى ﷺ، فأنزل الله هذه الآية:- ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ و (الحرث) موضع الزرع. والولد إنما يزرع فى الفرج، لا فى الدبر، ﴿**فأتوا حرثكم**﴾ وهو موضع الولد، ﴿**أنى شئتم**﴾ من أين شئتم: من قبلها، ومن دبرها، وعن يمينها، وعن شمالها. فالله تعالى سمى النساء حرثا: وإنما رخص فى إتيان الحروث، والحرث إنما يكون فى الفرج»[1].

هذا هو كلام العلامة ابن تيمية واسمحوا لى أن أفسر كلمته (فى قبلها من دبرها) فمعناها أن المرأة تنام على بطنها ثم يأتى الزوج لينام على ظهرها ولكنه يدخل عضوه الذكرى فى الفرج لا فى الدبر، وهذه الأوامر جاءت فى القرآن، لعظم هذا الأمر «أمر النكاح».

وبعد الآية والأحاديث أظن أن موضوع الحب وليلة الزفاف قد استكفى بيانًا ولكن يا ترى هل يدوم ذلك..؟

وللرد على هذا السؤال فلنذهب إلى الفصل الثالث حتى نعرف كيف يدوم الحب.

*****

(١) انظر فتاوى الإمام أحمد بن تيمية: ٣٢/٢٦٩، ٢٧٠.

الفصل الثالث

حتى يدوم الحب

* مشاكل فى بيت النبوة.
* سلوك للزوج والزوجة.
* سلوك الزوجة للزوج.
* سلوك الزوج للزوجة

حتى يدوم الحب

إن الحب الصافى النقى الخالى من كل الأغراض الدنيئة، حتما ولابد سيتعرض إلى بعض الهزات، فما من شىء يظل حتى النهاية لا يعتريه هز واضطراب، فالحياة مليئة بالمشاكل وفائدة الحب، سرعة التخلص من تلك المشاكل، نعم هذه هى الحقيقة فالحب لا يمنع المشكلة ولكنه يساعد على حلها والخروج منها بأسرع وقت.

ولعل بعض الناس سيقولون إن الحب لا يعتريه مشكلة ،وبالطبع قد أخطأوا فإن أعظم البيوت قد اعتراها المشاكل، وإن أعمق وأجمل قصص الحب قد تدخلت فيها مشاكل الحياة، ولكن استطاعت تلك البيوت الخروج من المشاكل بأسرع وقت واسمحوا لى أن أعرض لكم أحد المشاكل داخل أعظم البيوت وأجلها على الإطلاق.

*** مشاكل فى بيت النبوة:**

إن أعظم البيوت وأجلها قدراً على الإطلاق هى بيوت النبوة وإن كان ولابد من وجود بيوت لا يوجد بها مشاكل، كانت بيوت النبوة أحق بذلك،ولكن المشاهد والمعروف من خلال كتب السنة أن بيت النبوة قد وقع فيه مشاكل، ولكن كان العلاج من أسرع ما يمكن، وسوف أسوق إليكم حديثاً حتى أوضح لكم كيف أن المشكلة موجودة حتى فى بيت النبوة.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:لم أزل حريصاً على أن أسأل عُمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى:ـ **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾** حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوَة، فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: ياأمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى ﷺ الذى قال الله تعالى فيهما: **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾**، قال: واعجباه لك يابن عباس، هما عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال: كنت أنا وجَارٌ لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد وهم من

مَوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبى ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحى أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار.

فصحبت على امرأتى فراجعتنى، فأنكَرتُ أن تراجعنى.

قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فو الله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لهجُره اليوم حتى الليل.

فأفزعنى ذلك فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم جمعت على ثيابى، فنزلت فدخلت على حفصة، فقلت لها: أى حفصة أتغاضب إحداكن النبى ﷺ حتى الليل؟

قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكى؟ تستثكرى النبى ﷺ ولا تراجعيه فى شىء ولا تهجريه، وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتُك أوضأ منك وأحب إلى النبى ﷺ (يريد عائشة بهذا الكلام).

قال عُمر وكنا قد تحدثنا أن غسان تُنْعلُ الخيل لتغزونا، فنزل صاحبى الأنصارى يوم نوبته. فرجع إلينا عِشاءً فضرب بابى ضرباً شديداً وقال: أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهَولُ. طلق النبى ﷺ نساءه.

وقال عبيد بن حنين سمع ابن عباس عن عمر فقال:ـ اعتزل النبى ﷺ أزواجه ـ فقلت خابت حفصة وخسِرت وقد كنت أظن هذا يوشك أن يكون. فجمعت على ثيابى، فصليت الفجرَ مع النبى ﷺ، فدخل النبى ﷺ مشربةً له فاعتزل فيها، ودَخَلْتُ على حفصة فإذا هى تبكى، فقلت:ـ ما يُبكيكِ ألم أكن حذَّرتُك هذا، أطلقكن النبى ﷺ؟

قال: لا أدرى ها هو معتزل فى المشربة فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكى بعضهم فجلست معهم قليلا، ثم غلبنى ماأجد فجئت المشربة التى فيها النبى ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذِن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبى ﷺ ثم

رجع فقال :ـ كلمت النبى ﷺ وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلستُ مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبنى ما أجِدُ فقلت للغلام استأذن لعمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبنى ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع فقال قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفا ـ قال إذا الغلام يدعونى ـ فقال قد أذن النبى ﷺ .

فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرِّمال بجنبه متكئاً على وسادة من أدَم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائمٌ: ـ يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلى بَصَره، فقال: «**لا**». فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم أستأنس :ـ يا رسول الله لو رأيتنى وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبى ﷺ ثم قلت :ـ يا رسول الله لو رأيتنى ودخلت على حفصة فقلت لها :ـ لا يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبى ﷺ ،(يريد عائشة)، فتبسم النبى ﷺ تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم، فرفعت بصرى فى بيته فوالله ما رأيت فى بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت :ـ يا رسول الله ادع الله فليوسع على أُمتك فإن فارس والروم قد وُسِّعَ عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله ،فجلس النبى ﷺ وكان متكئاً فقال :ـ« **أوفى هذا أنت يابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم فى الحياه الدنيا**» فقلت يا رسول الله استغفر لى. فاعتزل النبى ﷺ نسائه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة، وكان قال «**ما أنا بداخل عليهن تسع وعشرين ليلة**» دخل على عائشه فبدأ بها، فقالت له عائشة :ـ يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال: «**الشهر تسع وعشرين ليلة**» فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة، فقالت عائشة :- ثم أنزل الله تعالى آيه التخير فبدأ بى أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة [1].

(١) الحديث فى الصحيحين والنص للبخارى انظر فتح البارى ٩ / ٢٧٨ -ـ ٢٧٩ باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها حديث رقم (٥١٩١).

هذا الحديث بكامل نصه وفيه بيان لحب رسول الله ﷺ لعائشة وأيضافيه بيان لخصام الأحباء فلقد تخاصم رسول الله ﷺ مع نسائه وبالذات مع عائشة رضى الله عنها ولا نريد الخوض فى شرح الحديث وإنما نريد الخوض فى كيف يتجنب الأزواج المشاكل؟

إذا كان بيت النبوة به مشاكل، فما بال بيوتنا، أقول تلك العبارة حتى يضعها الجميع نصب عينيه ،فإذا حدثت مشكلة لا يضخمها ويكبر من حجمها بل يقول لنفسه « بيت النبوة كان به مشاكل فلا بأس أن يوجد فى بيتى بعض المشاكل» ولكن للتخلص الكلى من المشاكل إليكم سلوكيات ثلاثة، سلوك للزوج والزوجة، سلوك للزوجة فقط وسلوك للزوج فقط.

*** سلوك للزوج والزوجة:**

سلوك يشترك فيه الزوج والزوجة هو الاقتناع، فاقتناع الزوج بزوجته واقتناع الزوجة بزوجها أساس لنجاح الحياة الزوجية، فالحب إن لم يعقبه أثناء الزواج اقتناع كامل كلٌ بالآخر، لن يكون زواج ناجح والدليل أسوقه لكم على هيئة قصة من أجمل ما قرأت وهى.

« يقول العتبى:ـ كنت ماشيا فى شوارع البصرة وإذا بامرأة من أجمل النساء وأظرفهن، تلاعب شيخاً سمجاً قبيحاً، وكلما كلمها تضحك فى وجهه. فدنوت منها وقلت لها:ـ من يكون هذا منك؟!

فقالت:ـ هو زوجى.

فقلت لها: كيف تصبرين على سماجته وقبحه مع حسنك وجمالك؟! إن هذا من العجب.

فقالت: يا هذا لعله رزق مثلى فشكر، وأنا رزقت مثله فصبرت والصبور والشكور من أهل الجنة. أفلا أرضى بما قسمه الله لى ؟!

فاعجزنى جوابها فمضيت وتركتها[1].

---

(١) تحفة العروس:١٤٧.

فهذه القصة أكبر دلالة على اقتناع الزوجة بزوجها والزوج بزوجته وكان وليد هذا الاقتناع رد المرأة على العتبى، وكان بالطبع رداً مفحماً غير مبالغ فيه، لأن منشأه القلب لا الإمعان فى الكلام ومحاولة المراوغة.

وأختم مسألة الاقتناع بقصة عظيمة تعبر عن مدى الاقتناع، وكيف أن للاقتناع أثر بالغ فى الحفاظ على الزواج السعيد القائم على الحب المغلف والمحاط بلذة الاقتناع هذه القصة هى.

رأى ملك امرأة أحد الفقراء، كانت ذات حسن وجمال فأحب أن يفسدها، فأغراها بالذهب والحرير.

ثم قال لها:ـ اختارى إن شئت أنا، وإن شئت زوجك الفقير!

فأنشدت تقول وقد فضلت زوجها على الملك:ـ

هذا، وإن أصبح فى أطمـــار وكان فى نقص مـــن اليسار

أفضل عندى من أبى وجارى وصاحب الـدرهم والدينـار

أخشى إن غدرت حر النار!

لا أجد كلمات أفضل من تلك الكلمات لذا أختم كلامى فى شأن الاقتناع ولننتقل سويا إلى السلوك الثانى.

*** سلوك الزوجة للزوج:**

لو تحدثنا عن السلوك الخاص بالزوجة حتى تحافظ على حبها وتدوم سعادتها، لاحتجنا إلى مجلدات، ولكنى رأيت أن أختصر فى النصيحة، وأنظر إلى أهم المشكلات التى تأتى من قبل المرأة وكيف يمكن التخلص منها؟

رأيت أن نساء عصرنا أكثر ما يفسدهن استماعهن إلى نساء السوء ، ونظرتهن إلى المال نظرة الحب والعشق، لذا رأيت أهم سلوك للمرأة القناعة وسد الأذن عن نساء السوء.

ويفســر ذلك **فى قصة جــميلة وهى**: كان رجل مــن عباد بنى إســرائيل يعمل فلاحاً ،وكانت له امــرأة من أجمل نساء بنى إسرائيل، فبلغ جبــاراً من جبابرة بنى إسرائيل جمــالها، **فأرسل إليهــا عجوزا فقــال**:ـ أفسديها عليــه« أى على زوجها» وقــولى لها: أترضين أن تكونــى عند مثل هذا الفــلاح؟! ولو كُنتِ عندى لحليــتك بالذهب وكسوتك بالحرير وأخدمتك الخدم.

فلما وقع الكلام فى مسامعها، جاء زوجــها بالليل، وكانت تقرب إليه طعامه فلم تقربه، ولم تفرش له فراشه، وتغيرت عليه.

فقال لها: ياهنتاه! ما هذا الخُلق الذى لا أعرفه؟.

قالت: هو ما ترى.

قال: أطلقك؟

قالت: نعم

فطلقهــا فتزوجهــا جبار بنى إسرائيل، فــلما دخلت عليه وارتخيت الســتور، عمى وعميت، فأهوى بيده ليلمسهــا، فجفت يده ،وأهوت بيدها تلمسه، فجفت يدها، وصما وخرسا ونزعت منهما الشهــوة، فلما أصبحا رفعت الستور،فإذا هم صم وعمى وخرس.

فــرفع خبــرهمــا إلى نبى بنى إسرائــيل، فرجع خــبــرهما إلى الله تعــالى ، فقال: إنى لست أغفر لهما أبدا! ظنا أن ليس بعينى ما عمل بالفلاح.

هذه القصة ما أجملها وبالطبع لها شواهد كثيرة فى عصرنا هذا ولقد جمعتها بفضل المولى عز وجل فى كتابنا **« الزواج على الطريقة الإبليسية»، فعصرنا** أصبح عصر عــجيب من الممكن أن يضيع فيه الحب من أجل المال ورغــبات الدنيا الزائلة يوما ما لامحالة.

ولكن بالطبع الخير فى أمة محمــد ﷺ إلى قيام الساعة، وهناك نساء تحلين بالحكمة والفضيلة ومنهن من كتبن كلمات تحفظ وكأنها سلاسل من ذهب، وهى.

كانت أمامة بــنت الحارث التغلبية عند عوف بن مــحلم بن ذهل فأنجبت له أم

إياس بنت عوف، فتزوجها الحارث بن عمرو، فلما أرادت إهداءها إليه قال لها: أى بنيتى! إن الوصية لو كانت تترك لفصل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل، أى بنية:ـ لو استغنت ابنة من زوج لغنى أبويها لكنت أغنى الناس عنه، ولكنا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا.

أى بنية:ـ إنك فارقت الوطن الذى منه خرجت وخلفت(تركت) العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين (زوج) لم تألفيه، أصبح بملكه إياك مَلَكاً عليك فكونى له أمة يكن لك عبدا، واحفظى له خصالاً عشراً:ـ

أما الأولى والثانية:ـ فالصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، فإن فى القناعة راحة القلب وفى المعاشرة بحسن السمع والطاعة ورضا الرب.

وأما الثالثة والرابعة:ـ فالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموقع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا طيب الريح، واعلمى أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وإن الماء أطيب الطيب المفقود.

والخامسة والسادسة:ـ فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

والسابعة والثامنة:ـ فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله، فإن أصل حفظ المال من حسن التقدير، والرعاية على العيال والحشم من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة:ـ فلا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت سرة لم تأمنى غدره، وإن عصيت له أمرا أوغرت صدره (ملأت صدره غضبا).

واتقى مع ذلك الفرح إذا كان ترحا« حزيناً»، والاكتئاب إذا كان فرحا فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما، وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مُرَافَقَة.

واعلمى :ـ أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرين هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت، ثم ودعتها إلى حالها[1].

---

(١) تحفة العروس للتجانى: بتحقيق الأستاذ محمد إبراهيم

ما أجمل الكلمات وأعظمها، لأن وضعت كل أنثى تلك الكلمات فى اعتبارها، وعملت بما فيها من نفع لدام الحب إلى نهاية الحياة.

وأختم حديثى فى شأن سلوك الزوجة بقصة غاية فى الروعة وهى :كان أبو مسلم الخولانى إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعام.

فدخل مرة، فإذا بالبيت ليس فيه سراج، وإذا امرأته جالسة فى البيت منكسة تنكب الأرض بعود معها، فقال لها:ـ مالك؟!

فقالت:ـ أنت لك منزلة من معاوية (خليفة المسلمين) وليس لنا خادم، فلو سألته فأعطاك خادما ومالا.

فقال أبو مسلم:ـ اللهم من أفسد على أمتى فعاقبه.

وقد كانت جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت:ـ زوجك له منزلة عند معاوية فلو ملت له يسأل معاوية يعطيه خادما ومالا.

وبينما تلك المرأة جالسة فى بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت:ـ ما لسراجكم طفئ فعرفت ذنبها، فأقبلت على أبى مسلم، تسأله أن يدعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها، فقام أبو مسلم فدعا الله عز وجل، فرد لها بصرها[1]

تلك القصة تعبر عن ما نحياه فلا يفسد المرأة إلا المرأة فاللهم أصلح لنا نساءنا واجعل نساء المسلمين فى عز وغنى وابعد عنهم نساء السوء والمكر.

*** سلوك الزوج للزوجة:**

إن أهم سلوك ينبغى أن يتحلى به الزوج هو الحلم، يليه الرضا، فالحلم منشأ لكل خير، ومن أجمل قصص الحلم: يحكى أن أحد الرجال راجعته امرأته فذهب إلى دار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليشكو إليه سوء خلق زوجته، وبينما هو عند باب أمير المؤمنين، إذا بزوجة أمير المؤمنين تراجعه، فقال الرجل: هذا حال أمير المؤمنين، فالحمد لله على حالى .

(١) تحفة العروس لمحمود مهدى: ١٤٧

وجلس بقرب باب أمير المؤمنين، فلما خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:ـ يارجل هل لك شكوى؟

فقال الرجل: أشكو مما تشكو منه يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين: يارجل إنهن يطبخن ويكنسن ويمسحن ويغسلن فرفقا بهن.

هذه هى قصة الحلم، فيجب على الرجل أن يكون حليماً مع زوجته حتى يدوم الحب.

أما السلوك الثانى فهو القناعة، هذا بالطبع سلوك لا يتصور أحد أنه يؤثر على الحياة الزوجية، ولكن من يتدبر ويفكر يجد أن أغلب لحظات القلق والمشاكل ما نتجت إلا عن نقص القناعة، أو اختفائها عند بعض الناس، والقناعة أقصد بها الرضى.

نعم إن الزوج يخرج ويقول ينقصنى خمسة جنيهات لكذا وعشرة لكذا وخمسة لكذا، فإن رزق أقل من ذلك انتابته حالة من القلق وإن تكلمت معه الزوجة فى أى موضوع ثار فى وجهها، وقال: ابتعدى عنى وقد ينهال عليها بالسب والشتائم، ونسى القناعة والرضا نعم القناعة والرضى هم أساس البناء الصحيح فمن يقنع ويرضى يعش فى رغد وسعادة ويدوم حبه ولنقل دائما:

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطِب[1] نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالى	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلداً	وشيمتك السماحة والوفاء
وإن كثرت عيوبك فى البرايا	وسرك أن يكون لها غطاء
ولا تُرِ الأعادى قط ذلا	فإن شماتة الأعدا بلاء
ورزقك ليس ينقصه التأنى	وليس يزيد فى الرزق العناء
ولا حزن يدوم ولا سرور	ولا بؤس عليك ولا رخاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سواء

(١) طب:ـ من طاب يطيب، لذَّ وحلا وحسن وجاد، ويقال: طابت النفس بكذا، انشرحت.

ما أعظم الكلمـات وما أجملها، ولو عـمل بها كل رجل لارتاح، وأراح من يحب فللمادة عامل خطير فى حياتنا المعاصرة ،وأكـثر المشاكل تنشأ بسببها ولكن من وضع كلام الـعلامة الشـافعى أمـامه سيـسلم وبالطبع الشافـعى لم يقل تلك الأبيات من رأسه ولـكنه استقاها من قول الحق تـبارك وتعالى: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبـه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**﴾ ومن كلام الله الوارد فى الخطب والمواعظ(ياداود أنت تريد وأنا أريد، فـإن أنت سلمت لى فيـما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لـى فيما أريد أرهقتك فيـما تريد ولا يكون إلا ما أريد).

فليضع الإنسان نصب عـينيه هذا الكلام فيطمئن قلبه وتهـدأ نفسه ويريح من هو بقربه سواء أن كان صديقا أم حبيبا.

وأخيرا أقول: إن تلك النصـائح التى سقتها قليلة ولكنهـا تمس واقعنا المعاصر فأرجـو من المولى عز وجـل أن نتحلى بتلك السلوكـيات حـتى يدوم الحب وتنعم الزوجة بدفء زوجها وينعم الزوج بدفء داره، فـتكون ذرية طيبة تلك التى تخرج منهم؛ لأنها ذرية لن تعرف المشـاكل فالمشاكل يسيطر عليهـا بالسلوك السابق ذكره فاللهم إنى أسألك حسن السلوك ونعم الذرية وإلى اللقاء فى كتاب آخر بأمر المولى عز وجل.

إلى اللقاء فى كتاب« **النساء فى حياة الأنبياء**».

المؤلف

محمد عبده مغاورى
المنصورة ـ عزبة عقل
بجوار مجمع الإيمان
ت ٣٦٧٩٢٥

المراجع

١- كتاب المولى عز وجل.

٢- فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر.

٣- صحيح مسلم بشرح النووى.

٤- المسند للإمام أحمد بن حنبل.

٥- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى.

٦- سنن ابن ماجة.

٧- سنن النسائى.

٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم.

٩- الداء والدواء لابن القيم.

١٠- أدب الدنيا والدين لأبى الحسن الماوردى.

١١- تحفة العروس للتجانى - تحقيق محمد إبراهيم.

١٢- تحفة العروس لمحمد مهدى.

١٣- الخطب والمواعظ لابن سلام.

١٤ مجموعة أبحاث لمحمد أحمد كمال.

١٥- فسيولوجيا الجهاز التناسلى لنخبة من الأطباء.

١٦- حسن الأسوة لمحمد صديق حسن خان.

١٧- لسان العرب لابن منظور.

١٨- زاد المعاد للعلامة ابن القيم.

١٩- مجموعة الفتاوى للعلامة ابن تيمية.

٢٠- طوق الحمامة للعلامة ابن حزم

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

*****